نوتردام باريس: عندما تصبح الكتابة فن عمارة

في نبوءة هيغو «أحدب نوتردام» يتطاير الشرر إلى أن تصبح الأشياء المحترقة تماثيل لشياطين

إعداد: مها محفوض محمد

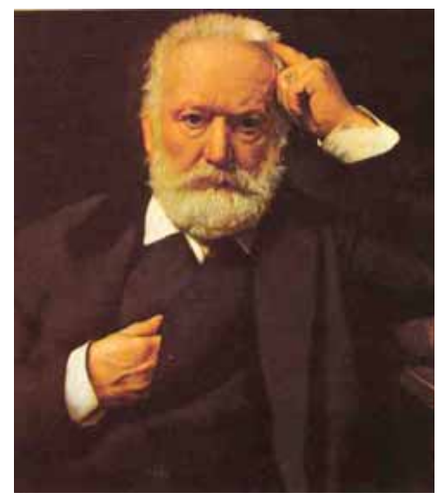

منذ الحريق الذي أصاب كنيسة نوتردام في الخامس عشر من نيسان الماضي لا تزال رواية فيكتور هيغو «نوتردام باريس» تتصدر مبيعات الكتب في فرنسا ولا غرابة في ذلك مادامت الرواية ارتبطت مع هذا الصرح في موطن الخيال الفرنسي وحين يكون الانفعال قوياً لدى الفرنسيين فإنهم يحبون البحث عن ملاذ وسط الأدب، إما للمواساة وإما لفهم أفضل لعالمهم كما حصل بعد تفجيرات ١٣ تشرين الثاني ٢٠١٥ إذ انتشرت من جديد رواية « باريس عيد» لإرنست همنغواي وارتفعت مبيعاتها خلال ساعات قليلة من الزمن.

«نوتردام باريس» الرواية الشهيرة التي كتبها فيكتور هيغو في القرن التاسع عشر على أن أحداثها تدور في القرن الخامس عشر لها أبعاد اجتماعية وفلسفية عميقة إضافة إلى طابعها التاريخي حيث تسرد تاريخ باريس وتاريخ الكنيسة التي تدور أغلب أحداث الرواية بداخلها وقد ترجمت إلى العربية تحت عنوان «أحدب نوتردام» نسبة إلى قارع أجراس الكنيسة كوازيمودو المعاق القبيح الشكل الذي يقع في حب شابة جميلة (ازميرالدا) لم تسخر من عاهته بل وجد لديها معنى الجمال الإنساني الذي حرم منه وهي الوحيدة التي رأت ما بداخله من طيبة وجمال رغم بشاعة شكله.

الرواية التي ترمز إلى صراع إنساني وانتصار القوة الموجودة لدى الأحدب المشوه جسدياً على الظلم السائد حينذاك والتي تم اقتباسها إلى السينما عدة مرات ثم إلى رسوم متحركة اقترنت أكثر بالكاتدرائية وكانت سبباً في ازدياد شهرتها لذلك حضرت بقوة مع مشهد الاحتراق لأنه وفي أحد فصول الرواية يصف هيغو حريقاً يلتهم الكاتدرائية قائلاً: «إلى أعلى الكنيسة تشخص الأبصار حيث التصقت النظرات بمشهد استثنائي وفي أعلى الرواق كان لظى النيران يتمدد بين البرجين وينثر ألسنة من الشرر..... إلى أن يقول: النيران تنحت من الأشياء المحترقة تماثيل داكنة لشياطين تجسدت فيها كل معاني البشاعة».

فكان لديه إحساس داخلي مصحوب بالقلق بأن شيئاً ما سيحدث، فجاء توصيفه للمشهد بمثابة تحذير ليبدو اليوم وكأنه نبوءة لما حصل وفي روايته التي نشرها عام ١٨٣١ وجعل من الكاتدرائية شخصيته الرئيسية فكان أحد الصناع المهرة لها، يقول في بعض وصفه: «إنها نوع من إبداع إنساني جبار غني كإبداع رباني تبدو وكأنها اختلست أوصافها من الخيلاء لتبقى أبدية».

كذلك وبعد نشر الرواية ازداد الاهتمام الشعبي بالكاتدرائية كما ساهمت بشكل أساسي في مشروع ترميمها، نوتردام التي تعد تحفة فنية من العمارة القوطية وشاهدة على تاريخ فرنسا منذ العصور الوسطى وحتى القرن العشرين حيث جرى في داخلها تتويج ملوك فرنسا واحتفال تحرير فرنسا من النازية ومراسم جنازات شارل ديغول وبومبيدو وفرانسوا ميتران، مخرجون وموسيقيون أيضاً جعلوا من الصرح الوقور ديكوراً لأعمالهم. وبعد الحريق الذي وقع في الخامس عشر من نيسان الماضي لم تهدأ الصحافة الفرنسية عن تناول الحدث يومياً على مختلف صفحاتها (سياسة- ثقافة- فن- مجتمع).

بولين غيار مهندس معماري وباحث في التراث كتب في صحيفة لوفيغارو تحت عنوان: «عندما تصبح الكتابة فن عمارة، رواية نوتردام باريس كتبت بطريقة الكاتدرائية» يقول: لم نندهش من قوة الطلب على الرواية فور وقوع الحريق لأن هذه الرواية ساهمت بشكل كبير في إنقاذ الكاتدرائية التي تعرضت لحالات انهيار في مراحل ما قبل ظهور الرواية وكانت قد أيقظت الوعي الجمعي لدى الناس ما أدى إلى الانتباه إليها والمساهمة في إعادة ترميمها في مراحل لاحقة.

وبصور فن العمارة التي برع هيغو في توصيفها بلغت روايته غنىً لا حدود له وأدار حبكتها بمهارة غير أن هيغو أراد أن يلفت إلى أمر آخر حين قال في مدونته التي أضافها إلى نسخته النهائية عام ١٨٣٢: «قد يروق للقراء إذا أرادوا أن يميزوا شيئاً آخر» وهنا يريد هيغو المجاهرة بأن الأدب يتفوق على فن العمارة مروراً بتكهن رئيس الشمامسة فرولو «هذا سيهدم ذاك» هذا للكتاب وذاك للصرح، أي إن «المطبعة ستقضي على فن العمارة» وما حصل بعد الكارثة التي أصابت الصرح التاريخي بهذا الشكل يأتي متوافقاً تماماً مع الذي رصده هيغو فالكتاب الذي ازدحم عليه الطلب والأدب الذي عادت سطوته من داخل الرواية وتعليقات الصحافة الغاضبة على وسائل التواصل الاجتماعي احتلت مكاناً فاق بكثير حجم الصرح وبحسب هيغو فإن تفوق القلم على الحجر يرقى تاريخه إلى اختراع المطبعة فهي أتاحت للكتاب أن يصبح الوسيلة ذات امتياز لنقل الفكر حيث حل محل فن العمارة التي كانت إلى ذلك الوقت لها الدور الرئيسي بذلك «هو الحدس بأن الفكرة الرئيسية لدى كل جيل سوف لن تكتب بذات الطريقة وبذات العناصر وما نقش على الحجر الصلب لن يحل محل الكتاب الورقي الذي سيكون أكثر صلابة وأكثر ديمومة».

هذا ما يشرحه في فصل (هذا سيهدم ذاك) فالفكر كان قد وجد دعامة أخرى ليعبر عن نفسه فيختفي بشكل حتمي من فن العمارة لتفقد دورها الذي كانت تقوم به ومع تطور الصورة وتسارع آلياتها فقد فن العمارة أهميته وولى إلى غير رجعة، لقد قتله الكتاب المطبوع كما وجدنا أن عظمة كاتدرائية نوتردام تكمن في الكتابة الخيالية التي قدمها فيكتور هيغو ليتغلب على فن العمارة على طول الرواية فهو يغير بشكل الكاتدرائية لجذب القارئ أو لتخويفه كما جعلها نابضة بالحياة بطريقة تعبير شاعرية عن الفانتازيا والتنوع ما أضفى عليها هالة الشخصية الرئيسية ليظهر بهذا العمل تفوقاً جديداً للأدب ويوثق نظريته ببصمة رومانسية، ويبدو أن فيكتور هيغو يبحث عن تفسير لتعقيد العلاقة بين فن وآخر وقد اشتغل بدقة كي يجسد في روايته فن العمارة القوطي المغرم به فالرواية التي تعد واحدة من أيقونات الأدب الفرنسي هي رواية تاريخية جعلت عدداً من الباحثين يشهدون على باريس ١٤٨٢ وتعرض للجمهور تشريحاً مفصلاً لفن عمارة الكاتدرائية كما دأب هيغو على كشف أهمية الرموز المخفية أو المجهولة أي المعنى المفقود لهذا الفن المعماري الذي يمثل لقاءً غابراً للفنون ويجسد حقيقة الحرية لشعب يعبر عن فكره عبر الحجر وأبعد من ذلك، فقد أراد البحث عن الاندماج الكامل بين فن العمارة كأساس وفكرة وبين الكتابة كدعامة وصورة «فالأساس والصورة لا يتجزأن هما كالدم واللحم» هكذا يقول في مؤلفه «وليم شكسبير» فكل شيء محدد لديه بهذا الالتحام بين الشكل والمضمون في الرواية: بناء الحبكة العلاقة بين الشخصيات والأمكنة وأخيراً الأسلوب الأدبي ذاته فالروائي يومئ عبر الكتابة لفن العمارة جامعاً بود بين فنين، معيداً إلى بساط البحث الثناءوية بينهما.

ويختم بولين غيار بالقول: «اليوم وحضارة الكتابة في ذروتها بفضل الانترنيت التي تنقل الفكر بطرق أسرع بكثير من الكتاب بل بشكل فوري لكن هل هذه السرعة هي الخدمة الأفضل التي تقدمها إلى العقل؟ وأين السرعة التي واجهت بها حكومتنا الحدث من أجل إعادة بناء نوتردام؟ أليس هناك ما يدعو إلى الشك والريبة؟ نوتردام الشخصية الرئيسية لروايتنا الوطنية هي اليوم البطلة الدرامية لهوية فرنسية مشوهة علينا أن نستمد من الأدب والفكر بعض الوصفات لتمويه أو تلطيف الانهيار الأخلاقي لحضارتنا، نتمنى أن يحمل إلينا هذا التدمير الأخلاقي علاجاً يأخذ شكلاً رمزياً أوليس في ذلك فن قراءة الإشارات؟

ففي الوقت الذي تتردد فيه كلمة «إعادة بناء» كل يوم على شفاه الجميع يجب أن يكون سلاحنا لإعادة البناء الجماعي هو الحب واحترام كل ما هو مقدس في زمن يتواطأ فيه الكثيرون لتدمير التراث وحضارات العالم.

هذا وكان جان ماري لوبين الرئيس السابق لحزب الجبهة الوطنية اعتبر أن حريق نوتردام هو فعل إجرامي حيث قال خلال مشاركته في حفل إحياء ذكرى جان دارك في الأول من أيار الحالي: قد تكون هذه الكارثة من فعل أحد الأجهزة دون أن يذكر اسمها فالحريق لا يمكن أن يحدث مصادفة ويحرق أعمدة وجسوراً ضخمة عمرها سبعمئة عام فهذا الحريق يتجاوز فعل أشخاص إلى منظمات وما حصل يجب أن يكون تحذيراً لنا.

> نوتردام هي البطلة الدرامية لهوية فرنسية مشوهة تستمد من الأدب بعض وصفاتها

برجك اليوم ٥/٢٩

نجلاء قباني

أنت تحت الأضواء تشعر باهتمام من حولك وقد تفتح صفحة جديدة وسعيدة، فاليوم جيد جداً للقيام بمشروع ترفيهي تمارس فيه جاذبية على محيطك وعملك.

أنت اليوم تميل إلى الجفاء ما يجعلك تفضل الوحدة والانقطاع عن الخارج، فلا تلجأ إلى استخدام أساليب مزعجة في التعامل مع أشخاص مهمين لمستقبلك.

تظهر انفتاحاً على محيطك وتفرح بدعم الآخرين وتعاطفهم ومحبتهم، فهذا اليوم للسفر أو للتعارف على أصدقاء جدد وهو يوم رائع للحب والاحتفال والبهجة، فأنت تتواصل مع محيطك.

كن معتدلاً في أحكامك وانتظر حتى تتوضح الرؤية لتكون أكثر قدرة على اتخاذ قرارات تضايقك في خط حياتك المقبلة، وقد تأسف لقبولك بعض الشروط من دون قناعة.

النقاش والحوار مفيد على كل الصعد، فاليوم تحسن ظروفك وتشعر بحب المحيط لك، وقد يطرح عليك مشاريع خارج إطار عملك الأصلي، تشعر بالحماس وتسعد للاتصالات.

أنت محظوظ بوجود أشخاص يحبونك ويقدمون لك يد المساعدة فلا تتردد في قبولها، فكل الكواكب تدعم خياراتك وقراراتك وتمنحك الدعم الذي تحتاجه مع أنك لا تحب المساعدات.

حافظ على قنوات التواصل بعيداً عن العصبية غير المبررة أحياناً، ضع خططاً للتحرك بهدوء، وصالح من حولك أو قلل من حجم المشكلات التي يسببها المقربون.

المشكلة أننا حين تكون أعمالنا كثيرة نبدأ بالتأفف وننسى أنه إنجاز جيد بالنسبة لنا، واليوم قدرتك على احتمال كل ما يجري حولك تزيد من طاقتك لتغيير ما يمكن تغييره.

تصفي حساباتك لتفرز مشكلاتك وتحاول حلها وتدعم الجيد وتعززه وتستفيد منه، وتحتاج لتصميم أو لشرح وجهة نظرك أو للنقاش في أمور عملية وقد تترافق مع أمور مالية.

لا تدخل في صدامات لإقناع الطرف الآخر بل اقنع من حولك بالأمور المادية والمحسوسة، فأنت تميل إلى فرض آرائك والتحكم بشريكك العاطفي وتحاول إملاء الآراء على من حولك.

تمضي سفينة عائلتك أو علاقتك بالآخرين بطريق مستوي من دون كل التعرجات وبنشاط وطاقة، فالكواكب مساعدة ما يجعلك عبقرياً في البحث عن حلول بديلة حين تشتد أي أزمة.

ركز تفكيرك في أمورك المالية والمهنية فأنت في شهر التغيرات الإيجابية، مع أنك تشعر أن محيطك العائلي أو العاطفي يأسرك أو يطالبك بقرارات مالية ليست في محلها.

كلمات متقاطعة

أفقي:

١- ممثلة لبنانية.
٢- مأزق - قط- ريق.
٣- كلاسيكي ومكرر- حروف متشابهة.
٤- دولة إفريقية (م)- نكتفي من الطعام (م).
٥- حروف متشابهة- متشابهان.
٦- مادة قاتلة- ندم وألم (م).
٧- في الثلاثينيات من عمره- فَشِل (م)- مذنب شهير.
٨- بناء مرتفع- نعم بالأجنبية- للمساحة (م).
٩- عقيدة- شأني- في السماء.
١٠- آلة موسيقية- نبات مخدر (م)- ضمير منفصل.
١١- تنشأ- حروف متشابهة.
١٢- للمساحة- أخيفهم.

عمودي:

١- موسيقي سوري شهير.
٢- جواب (م)- عتب عليه- يقطع.
٣- مديح- دولة عربية.
٤- اعتناء- حروف متشابهة.
٥- تسافر (م).
٦- أعطى- نصف سهام (م).
٧- هَرب- موسيقي مصري.
٨- والد- عربة نقل.
٩- ممثلة مصرية- دنو.
١٠- أتألم- تَعَب- فعل الأمر من (رأى).
١١- قادم (م)- إشارة.
١٢- سمين- علم مؤنث.

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١												■
٢					■			■				
٣		■				■					■	
٤					■	■					■	
٥						■		■			■	
٦			■						■		■	■
٧				■				■				
٨		■				■			■			■
٩				■					■			
١٠							■				■	
١١	■					■	■				■	
١٢			■					■				■

الحل السابق:

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١	ع	ب	ا	س	ا	ل	ن	و	ر	ي	■	ي
٢	ا	ل	ف	ر	ز	د	ق	■	و	ع	ي	د
٣	ب	ي	■	ي	م	■	ي	و	س	ف	■	ع
٤	د	غ	■	ر	ه	ا	ق	■	و	و	و	و
٥	ف	ح	ز	ي	■	ح	■	ا	■	■	ه	ه
٦	ه	م	م	■	ع	م	ا	م	ة	■	ر	م
٧	د	د	ر	ي	■	د	ر	ه	م	■	■	■
٨	■	ي	ه	ت	ف	■	ن	ن	ا	ق	ش	ه
٩	ب	■	■	و	■	ل	ب	ه	■	ل	■	ه
١٠	ا	ل	م	ه	ر	ب	■	■	ل	د	ي	ه
١١	ر	■	ا	■	ه	■	ل	ي	ب	ي	ا	■
١٢	ي	و	س	ف	ش	ا	ه	ي	ن	■	س	د

كلمة السر

ف	ح	ي	ث	ك	ن	ت	ك	ن	ت	ا	ذ
ي	أ	ح	ا	و	ل	ج	د	ا	ر	ل	ا
ا	ب	م	ا	ء	ل	أ	ق	ط	ف	ي	ت
ل	م	ن	ا	س	م	ك	و	و	ح	ا	هـ
ص	ش	هـ	ا	م	ة	ي	ح	أ	م	س	ا
ب	م	ت	ف	ا	ح	ة	ذ	ن	ر	م	م
ي	ي	ا	ن	ع	ة	م	ي	ز	ا	ي	ن
ح	و	ا	ق	ت	د	ا	ر	و	ء	ن	ز
ة	أ	ن	أ	ت	س	ل	ق	ي	ش	هـ	ل
ف	ي	ا	ل	ف	ض	ا	ء	ب	ك	ل	ك
و	ت	ن	ث	ر	ي	ن	د	أ	ن	ا	ي
ت	غ	ت	س	ل	ي	ن	ر	ذ	ا	ذ	أ

كلمة السر مؤلفة من ٧ أحرف: كاتبة سورية.

في الصبيحة ذاتها حيث كنت تغتسلين بماء الياسمين.. وتنثرين رذاذاً من اسمك في الفضاء.. كنتُ أنا.. أحاول أن أتسلق جدار منزلك بكل شهامة واقتدار لأقطف تفاحة حمراء يانعة وأنزوي وحدي.

SUDOKU

	4				5			2
	3		4	2		1	6	
2	1				6	8		
	8		7				5	
7		3	9		1	6		8
	9				3		4	
		1	8				9	7
	7	8		5	9		1	
4			6				8	

تتألف اللعبة من تسعة مربعات كبيرة داخل كل منها تسعة مربعات صغيرة، يجب ملء المربعات الصغيرة بالأرقام على ألا يتكرر الرقم أكثر من مرة في كل مربع كبير وفي كل خط عمودي وأفقي.

الحل السابق:

9	3	1	6	5	8	7	2	4
5	4	8	2	7	9	6	1	3
6	7	2	1	4	3	9	5	8
2	6	7	9	1	4	3	8	5
3	8	5	7	6	2	1	4	9
4	1	9	3	8	5	2	6	7
8	9	3	4	2	1	5	7	6
1	5	6	8	9	7	4	3	2
7	2	4	5	3	6	8	9	1

الطقس

	اليوم	غداً
دمشق	٣٩°/٢٠°	٣٩°/١٩°
حمص	٣٨°/٢١°	٤٠°/١٩°
حلب	٣٨°/٢٦°	٣٩°/٢٤°
اللاذقية	٣٣°/٢١°	٣٤°/١٩°
السويداء	٣٤°/٢٠°	٣٥°/١٨°
الحسكة	٤٠°/٢٢°	٣٨°/٢١°

من هو؟

ممثلة سورية إذا جمعت الأحرف:

٥ + ٧ + ٤: ركض.
١ + ٢: خاصتي.
٦ + ٣: للاستدراك.

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧

حل العدد السابق: جبر علوان.